

العبارة العربية الجيدة « مشرب بحمرة » ! لكن هناك بيتا للفرزدق يصف فيه تصرا فيقول « وجون عليه جص » أى : شيء اسود مطلقا بجص ! وقال النحويون ! ان الناس ليعتقدون ان هذا يدل على الابيض . لكنهم لم يفهموا ان هذه هى الحالة « الاشد تطابقا » على مفهوم التضاد .

ومع ذلك ، فلا يعنى الامر ان دافع التفسير كان هو الوحيد . لقد وجد بجانبه تلك الدوافع الأخرى التى نكرناها : حسب الاطلاع ، وضرورة الرد على افتراءات الشعبيية ، وانا اعتقد ان الامثلة التى اوردها ذات دلالة كافية ، فالذى يبدو بوضوح ، انه فى مجال التفسير ، كلما تمسكنا بالمعنى الحرفى للنص ، لا تبرز امامنا مشكلة التضاد ، لكن عندما ندخل اعتبارات لا علاقة لها بالمعنى الخام الاولي للنص ، فاننا نجد انفسنا مضطرين الى وضع تفسيرات أخرى ، فلماذا انن نترك هذا الجانب الملائم من التفسير ؟

وحاصل القول انه فى آية (اسروا الندامة) مثلا ، يبدو أكثر منطقيا وملائمة لخط التناسق القرآنى بصفة عامة ، ان نعطي فعل (اسرو) — على الرغم من الوضوح المعجبى له — معنى يختلف عن «كتبوا فى أعماق قلوبهم» !

البحث أيضا الى التفسير الظاهرى ، وخاصة عند ابن حزم ، ومهما يكن من شيء ، فسوف يصبح من اللازم القيام باستقراء شامل للتضاد التى وردت فى القرآن ، والسيطرة عليها بمنهج يصنف مظاهرها فى كل من الجدل ، والمعاملات ، لكى تتحدد أهميتها ودلالاتها الحقيقية .

ما النتيجة ؟

على الرغم من نقص دراستنا ، يبدو ممكنا ان نضع كمرض من بين الدوافع التى ادت الى مبحث التضاد : ان جزءا كبيرا منه يرجع الى اهتمامات خاصة بتفسير القرآن ، وانا على علم بان القائمة التى بين أيدينا حاليا تدل على ان مكان التضاد فى القرآن لم يدرس بعد .

ومن ناحية أخرى ، فاذا توجهنا الى دراسة التضاد ، فلا بد ان نضع بجانب المصدر القرآنى ، المصدر البدوى الذى خرجت منه كثير من الالفاظ المتضادة ، الخاصة بحياة الصحراء ، وهياتها ، وحيواناتها .

وعلى سبيل المثال ، يتمثل النموذج الكامل للتضاد فى لفظة «جون» التى تدل على الابيض والاسود . ففى اللغة الحية نفسها يدل الجون على شيء معتم أو مظلم «ينزع نحو الحرمة» او كما تقول



النظائر في القرآن الكريم

بَيِّنَات

مقاتل بن سليمان البلخي ومحمد بن علي الحكيم الترمذي

للدكتور محمد الشاذلي

ومن الجدير بالذكر ان المحقق قد حصل على
الجائزة الثالثة من بحثه هذا في المسابقة الثانية التي
نظمتها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط
عام 1393 هـ (1973 م).

ويبدو ان الدكتور شحاته لم يطلع على كتاب هام
نشر عام 1389 هـ (1969 م) بالقاهرة وهو «تحصيل
نظائر القرآن» تأليف محمد بن علي الحكيم الترمذي
المتوفى نحو سنة 320 هـ (932 م) ، فانه لم يشر اليه ،
ولو اطلع عليه لاستفاد منه كثيرا كما سنرى ، لان كتاب
الحكيم الترمذي - الذي حققه الاستاذ حسنى نصر
زيدان عن نسخة كتبت في اوائل القرن السادس الهجري
وهي محفوظة ضمن مجموعة بمكتبة الاسكندرية البلدية
تحت رقم 3585 ج - انها هو شرح ومعارضة لكتاب
مقاتل بن سليمان ، ولم يطلع الاستاذ زيدان بدوره على
كتاب مقاتل ولم يشر اليه ، ولهذا فقد كنت اعتبره مملا
ناقصا لا يستكمل الا بالاصل ، وحمدت الله ان ساقنتني
الاتحاد الى مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي
ناطلعت على هذا الاصل وهو كتاب «الوجوه والنظائر
في القرآن» ، وقد بدا الحكيم الترمذي كتابه بقوله :
(الحمد لله رب العالمين ، ولي الحمد واهله ويعد : فإنا
نظرننا في هذا الكتاب المؤلف في «نظائر القرآن» فوجدنا
الكلمة الواحدة مفسرة على وجوه ، نتدبرنا ذلك ناذا
التفسير الذي فسره انما اختلفت الالفاظ في تفسيره ،
السخ) وقد علق المحقق على هذا بقوله :

رغم الحملات الضارية التي استهدفت النيل من
اللغة العربية والقرآن الكريم منذ مطلع القرن الرابع
عشر الهجري ، فقد كشف المحققون عن روائع قديمة
في علوم القرآن الكريم كما كشفوا النقب عن أوجه
الإعجاز البياني والتشريفي في كتاب الله الخالد ، هذا
بالاضافة لما كشفه الباحثون حديثا عن أوجه اعجازه
التاريخي والعلمي .

وموضوع اليوم يتعلق بالاعجاز البياني اللغوي
للقرآن الكريم وهو فرع من علوم القرآن وتفسيره يعني
بالدراسة التحليلية للمصطلحات الواردة في القرآن
الكريم . واقدم ما اشارت اليه المراجع في هذا الموضوع
هو كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» تأليف مقاتل بن
سليمان البلخي المتوفى سنة 150 هجرية (767 م) الذي
يعتبر من اوائل من كتب في علوم القرآن الكريم . وقد
حقق هذا الكتاب التيم حديثا الدكتور عبد الله محمود
شحاته المدرس بكلية دار العلوم بالقاهرة وقدم له
بمقدمة دراسية عن المؤلف والكتاب ، وكان المحقق قد
عثر على نسخة مصورة لمخطوطة الكتاب بمعهد
المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة
عن اصل محفوظ بمكتبة مسموية في
تركيا برقم 516 ، وهو مكتوب في القرن
السابع الهجري بخط نسخ جميل ، ولم يعثر السيد
المحقق على نسخة اخرى فاستعان في تحقيقه وضبطه
بالتفسير الكبير للمؤلف نفسه الذي سبق له ان حققه .

يشير بذلك الى سبب تأليفه كتاب «تحصيل نظائر القرآن» الذي بين أيدينا ، وأنه وقع في يده أحد الكتب المؤلفة في نظائر القرآن ولكنها تخالف منهج الترمذى

ولعل السبب في أن الحكيم الترمذى لم يصرح باسم المؤلف في كتابه هو طبيعته في التأليف كما سنعرض لها ، وربما دل ذلك أيضا على شهرة كتاب مقاتل وقتها.

ولعله من الأولى أن نعرض لحياة مؤلفي الكتابين بتعريف مختصر قبل أن نعرض للكتابين ، ومن أراد التوسع في معرفة أخبار الرجلين فليرجع الى كتب التراجم القديمة او الدراسات المتخصصة الحديثة كدراسة الدكتور عبد الله محمود شحاته عن «مقاتل بن سليمان» ودراسة الدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة المدرس بكلية أصول الدين بالازهر الشريف عن «الحكيم الترمذى» .

ويسترعى انتباهنا لاول وهلة التشابه في حياة الرجلين رغم اختلاف مشربيهما ورغم ان الزمن يفصل بينهما بنحو قرن كامل ونصف ، كلاهما نشأ في خراسان وكلاهما اتهم بتهم عديدة كضعف الحديث وانزلاق الاسرائيليات في كتاباته ، وكلاهما كان له رغم ذلك تأثير توى في الفكر الاسلامى برد الشبهات ودفع البدع ، وكلاهما كان يميل للتشيع المعتدل (محنة آل البيت دون الطعن في أى من الصحابة رضى الله عنهم جميعا) رغم ان الاول «مقاتل بن سليمان» كان سلفيا كلاميا يزعمون انه كان يقول بالتشبيه ويتستر ويتزلف للحكام العباسيين وكان الثامى «الحكيم الترمذى» فقيها محدثا صوفيا ينفر من علم الكلام ويعارض التشيع المتطرف ويبعد عن السياسة والحكام .

ولد ابو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى بمدينة (بلخ) في خراسان وتوفى بالبصرة سنة 150 هـ . ورغم ان المراجع تكاد تتفق على سنة وفاته الا انها لم تذكر سنة ميلاده وأن رجح الدكتور شحاته انها قد تكون سنة 80 هـ ، وهو نشأ في (بلخ) وتعلم فيها وكان مقربا من حاكم (بلخ) سالم بن احوز المازنى عامل بنى أمية ، وكان فيها أيضا جهم بن صفوان المعتزلى المعطل الذى يقول بنى الصفات عن الله مز وجل وبالقدر ، ولعل ذلك دفع مقاتل للغلو في الاتجاه المضاد وهو (التشبيه) وقامت بينهما مناظرات . وقد تحول مقاتل الى مدينة (مرو)

وتزوج فيها وبدأ تفسيره بها ثم تحول الى العراق فنزل البصرة ودخل بغداد وكانت له منزلة عند الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور وابنه المهدي ثم عاد الى البصرة وتوفى بها ، وقد اشتهر مقاتل بسعة معارفه وكثرة معلوماته ولكنه اتهم بالكذب والتدليس ويغلوه في التشبيه ، ولهذا امتنع أئمة الحديث عن الرواية عنه ، الا أن الاحاديث الواردة في كتبه الباقية الى الآن اكثرها في كتب الصحاح والسنن ، والضعيف فيها بنسبة نادرة، كما تخلو كتبه من التهم التى نسبت اليه ، ويتساءل الدكتور شحاته : هل قال مقاتل بذلك في صدر حياته او في مجلداته ومناظراته ثم عدل عنها ولم يثبتها في مؤلفاته ، ام ان رواة كتبه ونساخها قد هذبوها وحذفوا ذلك منها ؟ ام انها كانت مجرد افتراءات من خصومه وحساده ؟ ثم ان هناك اقوالا ترفع منزلة في التفسير وتثنى عليه في الرد على الزنادقة وشرح المتشابه والمشكل من آيات القرآن الكريم ، هذا ويمتاز تفسيره بالبساطة ، وبالإحاطة بمعاني الآيات ونظائرها ، فهو تفسير بياني للقرآن بالقرآن ، وهو اول من اشار الى «الكليات» في القرآن الكريم فيقول مثلا : «كل شيء في القرآن (يَحْمَدُ رَبِّهِمْ) يعنى بأمر ربهم» وقد احصى له الدكتور شحاته 32 كلية على حرف الالف و10 على حرف الباء و5 على حرف التاء . . الخ في نحو 248 كلية ، الا ان تفسيره يعيبه خلوه من الاسانيد ووجود الاسرائيليات . واما كتابه «الوجوه والنظائر في القرآن» فيقول عنه الدكتور شحاته أنه : (يعتبر من امهات كتب اللغة العربية ، وفيه تظهر خصوبة هذه اللغة وثراؤها ، وانها غنية بالاصول والوجوه والنظائر قادرة على ان تستجيب لنهضتنا وان تمدنا بكل ما نحتاج اليه ، والكتاب في نفس الوقت من امهات المراجع في علوم القرآن وبيان ثروته اللفظية وإعجازه اللغوى) .

وولد ابو عبد الله محمد بن على الملقب بالحكيم الترمذى بمدينة (ترمذ) المشهورة في اوائل القرن الثالث الهجرى (نحو 205 هـ) ولم تذكر المراجع التاريخية تاريخ ولادته بالضبط ، وقد اختلف المؤرخون كذلك في تاريخ وفاته ، الا ان الدراسات الحديثة تبين ان وفاته كانت في نحو سنة 320 هـ . ويبدو ان والده كان من العلماء اذ انه يروى عنه كثيرا من الاحاديث ، وفي ترجمته لنفسه (يد وشان أبى عبد الله) يحدثنا أنه اشتغل بعلوم عصره وهو في سن الشباب وفي نحو الثلاثين اشتغل بالتصوف وعلوم القرآن ، وكانت له زوجة سالحة ساعدته على

سبعة عشر معنى في القرآن بمعنى البيان كتوله تعالى « **أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ** » وبمعنى الدين « **إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ** » وبمعنى الإيمان « **وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى** » والنظائر : كاللآفاظ المتواطئة .

والنسخة التي حققها الدكتور شحاته يوجد في أول صفحة منها بخط الناسخ «هذا كتاب الأشباه والنظائر في تفسير القرآن العظيم للامام مقاتل بن سليمان» وفي الصفحة الثانية «مما ألف أبو نصر من وجوه القرآن عن مقاتل بن سليمان مما استخرج» وفي نهاية الجزء الأول «تم الجزء الأول من الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان رحمه الله» وفي نهاية الجزء الثاني «تم الوجوه والنظائر بحمد الله وحسن توفيقه وصلى الله على نبيه محمد وآله»

ومن هذا يتبين أن كلمة (النظائر) متفق عليها ويذكرها الحكيم الترمذى منفردة ، وإنما وقع الاختلاف في كلمة (الوجوه) بدل (الأشباه) وان كان يبدو لى أن كلمة (الوجوه) اقرب ، حيث انه يبدأ كل مادة بقوله : «تفسير (كذا) على (كذا) وجه» وتضم هذه النسخة 185 مادة متفرقة بلغ عدد وجوها جملة 764 ، تبدأ بمادة (الهدى) وتنتهى بمادة (الفسق) وهى مجموعة على غير نسق معروف لا من حيث أصل الكلمة ولا من حيث ترتيبها في المصحف ولا حسب الحروف الأبجدية في ترتيب المعجم ، وهو يأتى باللفظ من القرآن الكريم ويحاول أن يحصر عدد أوجه معانيه ويستشهد بمجموعة فقط من الآيات — وليست كلها — التى ورد فيها هذا اللفظ بالمعنى الذى حدده والتفسير الذى ارتآه ، وبديهى أن هذا مجرد اجتهاد من المؤلف إذ أن عدد الوجوه الذى ذكره ليس موقوفا ولا مطلقا ، كما أن معانى الوجوه التى ذكرها يمكن أيضا الاختلاف فيها ، ولم يشر مقاتل لى أى ارتباط يربط بين الوجوه المختلفة للفظ الواحد ، وهذا ما تبينه الحكيم الترمذى بعد ذلك فلم يلق أهمية كبيرة لعدد الوجوه في حد ذاتها واستفرغ جهده في بيان أصل المعنى للمصطلح ، وما يشتق منه للوجوه المختلفة ، وقد لاحظت أن بعض الوجوه قد فسرها مقاتل في معان ضيقة جدا قد لا يقره عليها الكثيرون ، ويبدو لنا ذلك في المادة رقم 78 — «الأرض» فقد فسرها على سبعة وجوه جعل أول وجه منها : «أرض الجنة» فسرها آية سورة الزمر (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَنُفِعْنَا مِنَ الْأَرْضِ وَأَرْزَقْنَا الْأَرْضَ نَبَاتًا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ

تهينة الجو الروحى السابق له . وقد تعرض في حياته لفتن كثيرة واتهامات عديدة لخصها ابن حجر (الميزان ج 5 ص 308) : (اتهامات بأنه يروى في كتبه الفظيمة الاحاديث الموضوعة ، وحشاها بالاخبار التى ليست ببروية ولا مسموعة ، وبأنه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة ، وعلل الامور الشرعية التى لا يعقل معناها بعقل ما أضعفها وأوهاها ، وبأنه ادعى الكشف عن الدقائق والامور الغامضة والحقائق ، حتى خرج بذلك عن قاعدة الفقهاء واستحق عليه بذلك الطعن والازدراء) .

بل وصل الامر أن سموا به الى والى (بلخ) فأخذ عليه الا يتكلم في (الحب) وانزوى في بيته لا يرفع رأسه من المهانة ، حتى حدثت فتنة سياسية في البلاد فهرب حساده واجتمع الناس عليه وخرج من عزلته وشاع ذكره وانتشرت كتبه وتبين الناس افتراء اعدائه عليه ، وكتبه العلماء وكبار الصوفية ، وقد اعتنى المتصوفون بكتبه جيلا بعد جيل حتى وصل اليها معظمها ، واكثرها صنفاها ردا على أسئلة تلاميذه ، ولم يكن يهمه فيها الا توضيح انكاره معتمدا اعتمادا كبيرا على التحليل اللغوى.

والحكيم الترمذى يعتبر بحق مبتكر ثلاث نظريات جديدة : نظرية متكاملة في الولاية «ختم الاولياء» ونظرية في حكمة الاحكام الشرعية «علل الشريعة» ونظرية لغوية في أن اللآفاظ معنى محدد لا يتغير وأن الاسماء سمات المدلولات «الفروق ومنع الترادف» . ويبدولسى انه حينما قرأ الحكيم الترمذى كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» لمقاتل بن سليمان الذى حاول فيه ان يبرز أن اللفظ الواحد او المصطلح يرد على وجوه كثيرة متباينة حاول حصرها ، رد عليه الحكيم الترمذى موضحا ان تلك الوجوه المتعددة في الظاهر انها تتشعب من أصل واحد تدور حوله ، وقد استكمل نظريته هذه في نهم القرآن الكريم في كتابه «الفروق ومنع الترادف» .

وأما عن الكتابين فان كتاب مقاتل بن سليمان هو أول ما ألف في هذا النوع من الدراسات بالاجماع ، اذ يقول الزركشى (البرهان ج 1 ص 102) :

(النوع الرابع في الوجوه والنظائر ، وقد صنفت فيه قديما مقاتل بن سليمان ، وجمع فيه من المتأخرين ابن الزاغونى ، وأبو الفرج بن الجوزى ، والدمغاسى الواعظ ، وأبو الحسين بن فارس . . . فالوجوه : اللفظ المشترك الذى يستعمل في عدة معانى كلفظ «الهدى» له

تَطَوُّوْهَا) ، وباحبذا لو تفرغ لهذه الدراسة الشيقة بعض الباحثين ليشرح كل الوجوه في كل الآيات القرآنية ، وهو لاشك مجهود ضخم ولكنه يستحق ما يتجشم في سبيله من عناء .

وبمقارنتنا كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» لمقاتل بن سليمان مع كتاب «تحصيل نظائر القرآن» للحكيم الترمذى وجدنا أن كتاب الترمذى هو شرح ورد على نفس الكتاب الأول فهو يبدأ بشرح المادة الأولى (الهدى) ويوضح اختلاف الالفاظ في وجوهها التى تتشعب من أصل واحد فيقول . (. . .) ويرجع ذلك الى كلمة واحدة ، وانما تشعبت حتى اختلفت الفاظها الظاهرة للاحوال التى انما نطق الكتاب بتلك الالفاظ من أجل الحادث في ذلك الوقت وذلك مثل قوله (تقول مقاتل): الهدى ، فقد جاءت على ثمانية عشر وجها ، فالحاصل من هذه الكلمة كلمة واحدة فقط ، وذلك ان الهدى : هو الميل ، ويقال في اللغة : رايت فلانا يتهدى في مشيته اى يتمايل ، ومنه قوله تعالى (على لسان بنى اسرائيل) (أَنَا هَدْنَا إِلَيْكَ) اى ملنا اليك ، ومنه سميت الهدية هدية لانها تميل بالقلب ، والقلب امر على الجوارح ، فاذا هداه الله لنوره — اى اماله اليه لنوره — اهتدى : اى استمال ، وقد قال في تنزيله (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ) فهذا أصل الكلمة ، ثم وجدنا تفسيره (تفسير مقاتل) الهدى : (البيان) وانما صار الهدى بيانا في ذلك المكان ، لان البيان اذا وضع على القلب بنور العلم ، مد ذلك النور القلب الى ذلك الشيء واماله اليه . الاسلام ، وانما صار الهدى في المكان الآخر الاسلام لانه اذا مال القلب بذلك النور الى ذلك الشيء الذى تبين له : انقاد العبد وأسلم . . . الخ» .

ثم تتابع المواد بنفس الترتيب الذى ورد في كتاب مقاتل الا أننا نفاجا بعد المادة رقم 9 — السوء ان 25 مادة متتالية (الخزى — باعوا — الرحمة — الفرقان — قاتون — الذكر — الخوف — الصلاة — الناس — كتب — الخير — الخيانة — الامام — الأمة — الشقاق — الوجه — الفتنة — العدوان — الاعتداء — الفرض — السفسو — الطهور — إن — انسى — الظن) قد شرحها الحكيم الترمذى ورد عليها ، ولا توجد في النسخة التى بين أيدينا من كتاب مقاتل ، ولما كان من المؤكد أن هذه المواد الخمس والعشرين كانت توجد في النسخة التى قراها الحكيم الترمذى فإتينا لاتدرى هل

العالمين) وآية سورة الانبياء (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) . وفي الوجه الثانى : الأرض يعنى «الأرض المقدسة» بالشام خاصة ، واذا صدق هذا في آية سورة الانبياء (وَتَجَنَّبَاهُ وَلَوْطاً إِلَى الْأَرْضِ النَّيِّبِ بَارَكْنَا فِيهَا) فان آية سورة الاعراف (وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا) لها معنى نعرفه أوسع كثيرا مما ذكره ، وهذا ينطبق أيضا على الوجه الثالث : الأرض يعنى «أرض المدينة» خاصة واستشهد بآية سورة العنكبوت (يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ تَمَاجِدُونَ) وآية سورة النساء (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) يعنى أرض المدينة ، ولكن الثابت أن الهجرة قد تمت أولا الى أرض الحبشة كذلك ، فالأولى هنا ان الأرض بمعناها الواسع ، وفي الوجه الرابع : الأرض يعنى «أرض مكة» خاصة ، واستشهد بآية سورة الرعد (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَنَّهُمْ الْغَالِبُونَ) ونحن نرى لهذه الآية الكريمة معنى علميا يشير الى طغيان البحر على اطراف اليابس ووتسوف الانسان أمامه شبه عاجز ، وفي الوجه الخامس : الأرض يعنى «أرض مصر» خاصة ، واستشهد بآيات في سورة يوسف (وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) وَ (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ) . . . الخ ، مع انه من الثابت ان سلطان مصر وقتها كان مبسوطا على رقعة كبيرة من الأرض خارج حدود مصر ، ويرى البعض ان لفظ (مصر) كان يطلق وقتها كلفظ (المدينة) حاليا ومنه الكلمة العربية (الأحصار) وقول موسى عليه السلام لبنى اسرائيل (إِهْبِطُوا مِصْرًا) ، وبمعنى مصر فسر (الأرض) أيضا في آية سورة الاعراف (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ) مع ان هذا ينطبق على الأرض عامة في كل العصور ، وفي الوجه السادس : الأرض يعنى «أرض العرب أو أرض المسلمين» وفسر بذلك آية سورة الكهف (إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ مُنْسَوِّدُونَ فِي الْأَرْضِ) مع ان الثابت أن هذا كان في زمن ذى القرنين والمقصود هنا البلدان التى كانت تجاورهم عند السدين ، والوجه السابع : الأرض يعنى جميع الأرض «الأرضين» وفيها آيات كثيرة نحو آية سورة الانعام (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ) . هذا ولفظ (الأرض) قد ورد في القرآن الكريم في 461 موضعا اغلبها يعنى جميع الأرض ، وبعضها لها أوجه اخرى غير التى ذكرها ، مثل «أرض بنى قريظة» في آية سورة الاحزاب (وَأَوْزَنَّاكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ

(اللباس) يقابلها (اللبس) ، (اطمأن) يقابلها (تطمئن) ، (احس) يقابلها (الحس) ، (الباساء والضراء) يقابلها (الضر) ، (الشهيد) يقابلها (الاثهاد) (الخاسرون) يقابلها (خسران) ، (التقوى) يقابلها (اتقوا) ، (السوى) يقابلها (السواء) ، (بغير حساب) يقابلها (الحساب) ، كما ان مادة (الايمان) تاتي قبيل مادة (الشكر) في كتاب الحكيم الترمذى ، وان كان هذا لا يغير من المعنى ، الا ان كل هذا يرجع ان النسخة التي وصلت الحكيم الترمذى من كتاب مقاتل بن سليمان في «نظائر القرآن» هي غير النسخة التي بين ايدينا الآن ، وسأسوق في النهاية مثالا واحدا من كتاب «مقاتل بن سليمان» مع ما يقابله من شروح وتعليق «الحكيم الترمذى» يوضح منهج كل منهما :

يقول مقاتل :

تفسر الطاغوت على ثلاثة وجوه :

نوجه منها الطاغوت يعنى الشيطان ذلك قوله في (سورة) البقرة (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ) يعنى بالطاغوت الشيطان ، نظيرها ، في (سورة) النساء حيث يقول : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) يعنى طاعة الشيطان ، نظيرها ايضا في المائدة حيث يقول (وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ) يعنى الشيطان .

والوجه الثاني : الطاغوت يعنى الأوثان التى

تعبد من دون الله فذلك قوله في سورة النحل (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا يَمُنُّهُمْ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ). يعنى واجتنبوا عبادة الاوثان ، نظيرها في الزمر حيث يقول (وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا) يعنى الذين اجتنبوا عبادة الاوثان (وَأَنَابُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) .

والوجه الثالث : الطاغوت يعنى كعب بن الأشرف

اليهودى فذلك قوله تعالى في سورة البقرة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتِ) يعنى كعب (يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) ، نظيرها في النساء حيث يقول (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ) يعنى اليهود (يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ) يعنى كعب بن الأشرف . ويقول الحكيم الترمذى :

(واما قوله «الطاغوت» على كذا وجه : فالطاغوت

مشتق من الطغيان ، أخرجه على قالب «فاعول» ، وهو المجاوزة ، فاذا قوى الشيء ووفرت نفسه : كان على قالب «فاعول» فلذلك صارت تأويله الشيطان ، وفي مكان آخر الكاهن ، وفي مكان آخر كعب بن الأشرف اليهودى . فالطاغوت : هو الطغيان على البشر الذى

سقطت سهوا من الناسخ لكتاب مقاتل اثناء نسخه ام انها نسخة مختلفة ؟ ثم نجد المادة رقم 35 في كتاب الحكيم الترمذى وهى (الحكمة) موجودة برقم 12 في كتاب مقاتل يسبقها مادتان برقم 10 — الحسنة والسينة و11 — الحسنى لاتوجدان في كتاب الحكيم الترمذى ، وكذلك لاتوجد المادة رقم 13 — الأمر اما المادة رقم 14 — المعروف فتأتى بعد (الحكمة) برقم 36 في كتاب الحكيم الترمذى ، وكذلك لا نجد في كتاب الترمذى المواد التالية :

16 — الظلمات والنور ، 17 — الظلمات ، 19 — الظلم ، 22 — الطيبات ، 23 — الطيب والخبيث ، 33 اقام الصلاة ، 42 — هل (التي نجد بدلا منها مادة (الردى) برقم 57 في كتاب الحكيم الترمذى وهى لاتوجد في كتاب مقاتل) ، 62 — سريع ، 67 — الفرار واخيرا 68 — جعلوا .

واما المادة رقم 69 في كتاب مقاتل وهى (السبيل) فنجدها المادة الاخيرة من كتاب الحكيم الترمذى برقم 81 ، وتستمر المواد بعد ذلك في كتاب مقاتل تتوالى حتى ينتهى الجزء الأول عند المادة رقم 82 — النشور واخيرا ينتهى الكتاب بالمادة رقم 185 — الفسق .

وبهذا يظهر لنا ان كتاب «تحصيل نظائر القرآن» الذى بين ايدينا ليس الا شرحا ومعارضة لجزء واحد فقط من كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن» وتبقى اسئلة تنتظر الاجابة : هل اكمل الحكيم الترمذى شرح الكتاب كله ولم يصلنا الا الجزء الاول منه ؟ وهل لم يصله منه غيره ؟ ام انه اكتفى بشرح الجزء الاول منه فقط ؟ ثم ما هو تفسير غياب 25 مادة جملة واحدة في النسخة التي بين ايدينا من كتاب مقاتل مثبتة في كتاب الحكيم الترمذى يقابلها غياب نفس العدد تقريبا من مواد متفرقة في كتاب الحكيم الترمذى ومثبتة في نسخة كتاب مقاتل التي بين ايدينا ؟

ربما امكن تعليل الغياب الاخر بان الحكيم الترمذى قد تخطى بعض الالفاظ (المواد) فلم يعلق عليها، وان كان هذا التعليل محتملا ، الا اتنى أجده احيانا يعلق على بعض المواد فيسطور ثلاثة فقط ولا يتركها مثل مواد : **اننى والمحصنات والسوى والاسباب** ، كما ان الترتيب المنتظم والتعليق المتوالى على المواد يجعلنى اطمح بان الكتاب لو كان قد وصل الى الحكيم الترمذى في الصورة التي وصلتنا ، فلا بد انه قد شرحه كاملا ، وقد لاحظنا ان بعض المواد تختلف قليلا في كتاب الحكيم الترمذى من نظيرها في كتاب مقاتل مثل :

ومن هذا نرى أن الحكيم الترمذى يوضح أصل
المصطلح في دقة بالغة يظهر منها اشتقاقات كل صور
الوجوه للفظ ، ولا يتناقض التخصيص مع العموم .

ليت الحظ يسعفنا بالعثور على نسخ أخرى من
كتاب «الوجوه والنظائر» تستكمل نقص النسخة
الحاضرة ، والعثور على الجزء الثانى من شروح
الحكيم الترمذى لطبعها معاً في مجلد واحد ، إذ أنه أصل
التفسير البيانى للقرآن العظيم ، ولو توأسر بعض
الباحثين المخلصين للمضي في هذه الدراسة قُدماً فانهم
سيسهمون بلا شك في إثراء المعرفة الإنسانية .

يطاع من دون الله 1 - كالكهنة الطاغين الذين
يعملون في الخفاء . 2 - أو كالكهان الدجاجة على اختلاف
أنواعهم : سواء أكتوا كهنة لأوثان جمادية ساكنة ،
أو حية متحركة ، أو وهمة خيالية ، والأوثان في حد
ذاتها لا تضر ولا تنفع ولكنها لعبة في طواغيت الكهنة ،
ولعل أول مرة في التاريخ برهن فيها الكهنة على سلطانهم
يوم دعا «أممختب الرابع» (إخفانون) لثورته «التوحيدية»
سذ نحو 33 قرناً ، فانتمت كهنة (أمون) بتطليخ سمته
حياً وميتاً . 3 - أو كدعاة الحقد والعصية ويربط بين
هذه الصور الثلاث للطاغوت خيط دقيق هو الإلحاد
والعمل بالكذب والخداع .



سياسة الإدماج الاستعماري واللغة العربية في تونس

للدكتور محمد عبد المولى

لشعب تونس الذي تهر بقوة الحديد والنار واستسلم
للأمر الواقع . . .

ففى خلال 1881 فرضت فرنسا سياسة تعليمية
ترمى الى غاية الإدماج (l'assimilation) وأفضل وسيلة
لهذا الإدماج هى المدرسة وخاصة المدرسة الابتدائية
كما صرحت بذلك احدى الشخصيات الفرنسية ، لذلك
لا بد من استيراد المدرسة الفرنسية وقرسها فى بلدان
ما وراء البحار ، انها مدرسة فرنسا ببرامجها ونظامها
التربوى ومعلميها وكتبها بنفس عناوين فصول البرامج
المقررة فى مدارس فرنسا الام (. . .)

انها مدرسة فرنسا بوسيلة ادماجها القومية ،
التعليم فيها بالفرنسية فتصبح من ثم اللغات الوطنية
مهجورة وأكثر من ذلك ، محتقرة ، واذا ما استطاعت
اشكال التعليم الوطنى ان تبقى فانها تفقد اذذاك كل
قدرتها وفعاليتها .»

وفعلا حاولت سلطات الدولة الحامية ان تطبق
تلك السياسة فأول مسألة جابهتها بحزم هى مشكلة
اللغة ولكنها احتارت بين حلين : فأما الإدماج الكامل
وبالقوة لشعب تونس فى الامة الفرنسية ، كما حاولت
تطبيقه فى الجزائر ، وأما مسخ الشخصية الوطنية
ونسف قواعدها من لغة ودين واقتصاد . . . كخطوة
أولى للإدماج ، وأخيرا وقع اختيارها على الطريقة
الثانية . (1)

فى منتصف القرن التاسع عشر انتصرت فرنسا
باسم أوروبا المسيحية على القطر الجزائرى الشقيق .
وكان من نتائج هذا الانتصار تطبيق سياسة الإدماج
والفرنسة فى المغرب العربى عامة وتونس خاصة مع
اختلاف بسيط فى استعمال الوسائل والطرق المؤدية الى
نفس الغرض ان هذه السياسة الفرنسية قد نجحت
الى حد بعيد فى خلق مشاكل وفوضى فكرية ولغوية
 واجتماعية وتربوية فى بلدان المغرب العربى الثلاثة :

كان المخطط الاستعماري الفرنسى ، الى جانب
الاستغلال الرأسمالى والبشرى ، يرمى الى افراغ
الشخصية التونسية فى مضمونها الاجتماعى والقومى
لاحلال مضمون الشخصية الفرنسية محلها ، وقد انكب
على اعداد طرائق هذا المخطط الجهنمى . اساتذة
الاستعمار الفرنسى المتخصصون فى العلوم الانسانية
عامة واللغة والحضارة العربية والاسلامية خاصة ،
والعارفون بدقة التركيب النفسى والاجتماعى للفرد .

وبعد انتصار فرنسا باسم أوروبا المسيحية على
القطر الجزائرى نصبت الحماية على القطر التونسى .
وما يقال عن تونس يصدق كثيرا على المغرب الاقصى
نميا يخص سياسة الإدماج التى سلكتها الدولة الحامية .
« فباسم نعمة غامضة ، دعيت « بالحماية » قلبت
سلطات الاستعمار الفرنسى الاطار السياسى
والاقتصادى والاجتماعى ، وحاولت قلب الاطار الثقافى

(1) انظر : Thalbi : La Tunisie Martyre, Paris, Jouve et Cie, 1920, p. 37.

وعلى الرغم من المظاهرات الشعبية الصاخبة تمكن المستعمر من أن يجعل في النهاية اللغة الفرنسية لغة الإدارة والتعليم الرسمية بعد أن نقلت تدريجيا الدواوين الى اللغة الفرنسية واصبحت بالتالي اللغة العربية في صف اللغات المميزة كانتها لغة اجنبية .

هذا اذا استثنينا بعض تلك المؤسسات التعليمية والقضائية التي لا تزال تحافظ حتى اليوم على اللغة العربية .

كانت السياسة الاستعمارية ترمى من وراء هذه الفرنسية الى خلق جيل تونسي يكون بعيدا كل البعد عن معرفة لغته وثقافته الوطنية . وسوف لا يتم تكوين هذا الجيل الجديد حتى تصبح القطيعة ممكنة بينه وبين واقعه وشعبه وبين الماضي والحاضر عندئذ يفقد كل اتصال مثير بين الشعب من جهة ، وبين ابائهم المستترين من جهة اخرى فتقطع صلة الرحم ، وجميع امكانيات الاخذ والعطاء المثمرة بين الفريقين عند ذلك يصبح من السهل دمج العرب في الامة الفرنسية « الحامية » .

لكن الاستعمار نسي ردود الفعل العنيفة لشعب تونس ومثقفيه المتمسكين بلغتهم وبتقافتهم الوطنية ، لقد ناضل الشعب التونسي بكل عنف وقوة لمعركة وابطال السياسة الفرنسية مقاطع اول الامر المدارس الفرنسية واعتبرها خطرة ومضرة لتربية ابائهم ، ليست على كل حال ، مدارس الكافرين بالله ؟ .

وحتى يتمكن من نشر لغته وثقافته على نطاق واسع عهد المستعمر الى استخدام جميع وسائل الضغط المادية والبيسيكولوجية ، ومن ضمن هذه الوسائل الجهنمية استخدم طريقة معقدة جدا ومرحلية : كان العدو الاستعماري ذكيا في انتقاء طريقة الانتداب للخدمة العسكرية وهي تعتمد على الاغراء والقوة في آن واحد : فبعد ان اتخذ من الحاضرة نقطة ارتكاز اداري وثقافي في الشمال جعل الجنوب منطقة عسكرية . اعفى اولاً ابناء العاصمة من الخدمة العسكرية وذلك تكريما لبعض العائلات على توأمتها وعدم مقاومتها للحماية ، وتشجيعا لابنائها على الدخول الى المدارس الفرنسية ، كما اعفى ابناء الجنوب من الخدمة العسكرية انهاء لثوراتهم ومشاكلهم ، اما الباقي ، الوسط والساحل والجهات الاخرى فهي غير معفاة من الخدمة العسكرية وبذلك وجد الشعب التونسي نفسه بين فكين حادين او بين قوتين ارهايبيتين مرتكزتين في الشمال والجنوب .

ان الشعب التونسي بصفته شعبا عربيا مسلما ، يعتبر أن الخدمة العسكرية تحت العلم المسيحي المثلث علم الكفار ، بمنزلة الكارثة العظمى والطاقة الكبرى ، والمستعمر يعرف هذا الشعور معرفة دقيقة ، فقد استخدم المستعمر كل الوسائل لنشر لغته مثل نظام التفرقة والتمييز بين الفئات السكانية والجهوية باعفاء البعض وعدم اعفاء البعض الآخر من الخدمة العسكرية ، وكذلك اعفاء كل من يحصل على الشهادة الابتدائية . ان هذه الاساليب الجهنمية اجبرت بعض التونسيين على ادخال ابنائهم الى المدارس الفرنسية ، املا في الاعفاء من الخدمة العسكرية واذا لم يتحصل الشاب التونسي على الشهادة ولم تسعفه القرعة فله أمل اخر وهو التمويض بدفع مقدار مهم من المال .

وعلى الرغم من أن اغلبية العائلات التونسية آنذاك كانت قليلة الموارد الا انها كانت تضحى ، في اغلب الاحيان ، ببيع متاعها وارضها للمعمرين الفرنسيين وغيرهم حتى تتمكن من دفع غائلة الكارثة ، كارثة الخدمة العسكرية ، عن ابنائها ، كل هذه الاشياء ساعدت كثيرا على نشر اللغة الفرنسية كما ساعدت التوسع الاستعماري الراسمالي على حساب جماهير الشعب الواسعة .

امام هذه الاشياء جميعا ، وامام سياسة الادمج والفرنسة لعبت الثقافة القومية عن طريق اللغة العربية والدين الاسلامي دورا لا يضاهاى كانت الزيتونة والصادقية والخلدونية معقلا منيعا للدين واللغة والثقافة العربية التي هي اخص مقومات الامة وحجر الزاوية التي يبنى عليه صرح مجدها وعزها ، لقد عرقلت هذه المؤسسات الوطنية مشاريع ادارة التعليم العمومي الاستعمارية ومناورات مديريها «باشويل ولوسيان باي» وغيرهما كما قاومت بكل شدة جميع المشاريع الاستعمارية الاخرى مقاومة دفعت بخيرة ابنائها ورجالها الى الصفوف الامامية من المعركة الوطنية لتخليص المجتمع التونسي من التبعية الثقافية والاستغلال الاقتصادي والبشرى ولا ننكر ما قامت به المدارس القرآنية المصرية والمدارس العربية الاخرى في نشر التعليم باللغة العربية .

والجدير بالذكر ايضا أن الخلدونية قد لعبت دورا فعلا في تلقين العلوم المصرية عن طريق اللغة العربية ، الى جانب تدريس اللغات الحية كالفنات ، ولا نغفل ايضا عن ذكر تجربة الشعبية المصرية الرائعة التي كانت اثناء الحماية اول تجربة تعريب ناجحة بعد تجربة الخلدونية الرائدة .

دراسات تعريبية ومفجمية

الصفحة

- 1 - تعريب العلوم الانسانية في التعليم الجامعى
للدكتور رشدى فكار 127
- 2 - التعريب ومراعاة جمائل العربية واوزانها
للاستاذ احمد عمار 134
- 3 - معالجة التعريب فى العلوم الهندسية
للدكتور على محمد كامل 135
- 4 - الفارابى اللغوى (2)
للدكتور احمد مختار عمر 147
- 5 - المعجم العربى لمصطلحات العمل 175
- 6 - مفهوم تشييق تعريب 176
- 7 - معجم التربية والتعليم فى الميزان 179



تعريب العلوم الإنسانية في التعليم الجامعي

دراسة تحليلية لأبعادها ومراحلها
من المنطلق إلى التسيق إلى التوحيد

للكوثر رُنشدي فكار

بالوسائل فاعلية العلوم وتوظيفها بتحديد مضامينها ،
واكتساب المعرفة التكنولوجية وتطبيقها ، بمد
استثناسها في شكل فوري قادر على استغلال خيرات
الطبيعة ، وتنجير طاقات غطاء الانسان لا سلبياته
وهذا لا يتأتى الا بفضل استيعاب موضوعي لتدرات
العلوم وواقع التكنولوجيا في هذا العصر نظريا ،
وعمليا ، وتطبيقيا .

ولا جدال ان الخطوات التي قطعت في طريق
التعريب تبشر بالخير ، فبعد الاجيال السابقة التي أدت
دورها في حدود متطلباتها التي أملتها الضرورة وبجهد
فردى ، جاءت أنشطة المؤسسات الثقافية والاكاديمية
لتؤهل لارضية التعريب التي تحمل مكتب تسيق
التعريب في الوطن العربي ، رغم إمكاناته المحدودة
مسؤولياتها بتسيقها ومنهجتها لتعطي باكورة العمل
الجاد في اطار علوم الطبيعة في شكل المعجم الاول
الموحد . وهذا بدوره يدعو الى المزيد من تكثيف
الجهودات الواعية المتبصرة بعمق في قضية التعريب
انطلاقا من الشعور بالمسؤولية لدى كل مثقف عربي
امام هذه القضية المصرية .

والتزاما منا بهذا المبدأ نقدم ، من خلال هذا
العرض المركز ، تصورنا على ضوء تجربتنا الجامعية ،
وخبرتنا المتواضعة في علوم الانسان ، لاشكالية التعريب
في هذه العلوم ، مبتدئين بطرح الاشكالية وابعادها
لننتقل الى تحديد مراحلها المختلفة من مرحلة المنطلق
بمفويتها ومجازماتها التي أملتها الضرورة ، ما لها وما

تمهيد : التعريب قضية مصرية بالنسبة لعالمنا
العربي وليست هامشية :

غنى عن التعريف اننا نعيش في عصر تحدد فيه
معايير تقدم الامم بقدر ما لديها من عطاء علمي ، ومعرفة
تكنولوجية ، وتبنى لخصائص الارتقاء ، دون ان تفقد
ذاتيتها واصالتها ، ولقد استطاعت بعض المجتمعات
ان تتصدر حاليا ، لجرد انها تملك وسائل التقدم هذه ،
اي الارتكاز اساسا على العلم ، والتكنولوجيا ،
والصناعة ، دون ان تكون لها ثروات طبيعية او بشرية ،
بينما عالمنا العربي وقد حياه الله بالثورات الطبيعية
والبشرية ، وخصه بذاتية انسانية ، اشرقت حضارتها
على الارض عبر قرون طوال ، متوكل في خطواته
الوظيفية وفي تبنى معايير التقدم ، فهو يواجه حاليا
من بين ما يواجه من مشاكل وظيفية قضية الاولويات
بمعنى كيفية تصنيف اشكالياته بين اساسية حيوية بها
يبدأ ، وثانوية غير فورية تتحمل الانتظار ولا تتمعد
مع الزمن .

ولا شك ان اشكالية التعريب في محيط العلوم ،
والتربية ، والثقافة بصفة عامة في تصورنا تتصدر من
بين الاشكاليات الاساسية الحيوية الفورية لعالمنا
العربي ، باعتبار ان عوامل الاعاقة لا تتجسد بالضرورة
في عدم عطاء طبيعة ارضه او مقومات حضارته او ذاتية
البشرية ، بقدر ما تتجسد في توعكه حيال امتلاك وسائل
تقدم العصر لا اساسه وجوهه لانه مالك لها ، ونعنى

عليها ، الى مرحلة التنسيق المنهجي وكيفية التغلب على العوائق على ضوء الامكانيات الميسرة الى مرحلة التوحيد كهدف حتى منشود للنهوض بامتنا وتحقيق تقدمها باستعادة مجدها التليد علميا .

المبحث الاول

طرح اشكالية تعريب مصطلحات علوم الانسان من خلال ابعادها المختلفة

منطلق الاشكالية فرضته الضرورة واملته الحاجة :

اذ من المعروف انه مع ظهور المجلات الثقافية في العالم العربي منذ القرن الماضي والتطلع الى الفكر الغربي ومحاولة التعرف على بعض مظاهره ، ثم مع تاسيس الجامعات العربية ، والرغبة في تبني المعطيات الاكاديمية المعاصرة في الجامعات الغربية ، سادت بعض هذه المعطيات فلسفية ، وعلمية ، وتكنولوجية تأخذ طريقها الى ثقافتنا العربية ، سواء في شكل مصطلحات معربة او مترجمة ، او في شكل مضامين تأثر بها المثقون . وكما كان الحال في تجربة سابقة عرفتها امتنا من قبل حين الاحتكاك بفكر اجنبي تمثل في الحضارة الاغريقية وما حولها ، فقد تباينت المواقف في المحيط الفكري على مستوى الشكل والمضمون ، بين متحمس متقبل لها قلبا وقالبا ، وبين رافض لها شكلا ومضمونا ، وبين موافق بين القبول والرفض ، متقبل للشكل قائل بالموافاة مع المضمون الحضاري العربي المسلم ، او متقبل للمضمون الاغريقي قائل بشكلية الموافاة على مستوى القوالب والصياغة العربية الاسلامية .

غير انه يلاحظ في تجربتنا التاريخية مع الحضارة الاغريقية وما حولها انها جاءت في وقت كان جسد الامة العربية الاسلامية في قمة اشعاعه وعطائه فإستأنس الاحتكاك وروضه ليخضعه للمضامين الاسلامية تفنيدا او تعزيزا ولم نجد في المحيط الفكري آنذاك مزيجا او متنكرا لحضارته الاسلامية العربية ، وانما كانت الاشكالية منسبه على مستوى اوليات النهج بين الالتزام والمرونة ، بين الوحي وقداسته والعقل والاحتكام اليه في اطار التكامل والمطاء . فلم تحل المضامين الاغريقية محل المضامين الاسلامية ، ولم تصبح المصطلحات الاغريقية وسيلة لتحريف لغتنا العملاقة وقهرها .

وكان ما كان من مواجهات رصينة في مشرق امتنا العباسي ومغرب امتنا الأندلسي ، وخرجت حضارتنا من التجربة (من الغزالي الى ابن رشد) من الالتزام الى مرونة الاحتكام العقلي ، محصنة مشرقة معطاءة غزت ببصيرتها وفعاليتها جذور حضارة الغرب التي تعيش اليوم ، والتي جاءت الينا تعيد كرة الفكر الاغريقي ، مع الفارق بين الامس واليوم ، فامتنا حاليا تعيش التجربة وجسدها مسخن بالجراح من ضربات كملت لها ذات اليقين وذات اليسار ، ومع هذا عليها ان تخوض مواجهة الاحتكاك بالفكر الاجنبي متجاوزة

لجروحها ومتكسبة لوظائف حضارة العصر . دون ان تنتقل اليها جرائم تعيق جروحها هذه ، وتعتمد لها فورية الالتئام .

بمواجهة اليوم اذن لا تختلف عن مواجهه الامس الا في مدى قدرة جسد امتنا على تكيف الاحتكاك لصالحه ، ولما فيه تدعيم لذاتيته واصالته . لا اهتزازها او اذابتها ، لان منطلق التجربة المعاصرة في مرحلتها الاولى منذ مشارف القرن الماضي ، رغم ما قدم من ايجابيات نجده في محيط التعريب قد تحكمت فيه العنوية واملت عليه الضرورة سلوكا جزائيا ارتجاليا لم يخضع لتقنين التخصص والاختصاص ، ولم يميز بين التعريب ومضمونه ، ولا بين ايجابياته وسلبياته في اثنهاية ، وهذا ما سوف نجمله في المبحث التالي من هذا العرض .

المبحث الثاني

مرحلة المنطق للتعريب المعاصر

ما لها وما عليها

ارتكزت مرحلة منطق الاحتكاك بالفكر الاجنبي المعاصر منذ بدايتها على الجهد الفردي ، والعمل انشخصي ، والاجتهاد العفوي ، ولم يك منتظرا منها اكثر من ذلك (اذا ما استثنينا التجربة انجادة في الترجمة لرفاعة الطحطاوي في مصر عبر القرن الماضي كما اشرنا الى ذلك تفصيلا في مؤلفنا عن اصول العلاقات الثقافية بين فرنسا والعالم العربي المنشور في باريس بالفرنسية) اذا ما وضعت في اطارها التاريخي ، حيث الاستعمار جائم على جسد امتنا في مشرقها ومغربها ، ولم يترك لها امكانيات التنفس الا بحسبان ، حرصا على مصالحه واستمرارية استغلاله ، فما وصل الينا من جهد في ميدان المجلات الثقافية العربية التي اهتمت بالفكر الغربي منذ القرن الماضي ، او ما تم في الجامعات العربية بعد تاسيسها يبرز لنا مدى تحكم الضرورة ، في تعريب المصطلحات شكلا ومضمونا ، باعتبار ان المصطلحات هي مفاتيح الفكر ومعاله .

فراينا في محيط الفكر العربي الحديث ما عاشته امتنا من قبل حين مواجهة الفكر الاجنبي ، بين متحمس له ومتبني دون تبصر ، وبين رافض له ملتزم بارضيته الحضارية العربية الاسلامية لا تزمتا ولكن خشية من مقنعات الاستعمار الرابطة على ارضه وخلفياته ، فعداء الاستعمار بالنسبة للاتجاه الرافض كل لا يتجزا وبين اتجاه ثالث توالد بعد ذلك على ضوء الاتجاهين السابقين رغم مرونته فهو ملتزم بجوهر حضارته ، ولكنه مفتتح على حضارة الآخرين . وتاريخنا الفكري الحديث يعطى لنا الكثير حول هذا الموضوع ، غير اننا نكتفي باستنتاج المواقف لهذه الاتجاهات دون سرد لتطورها وابعادها تفصيلا .

الاتجاه الأول : استلزم بحضارة الغرب واعمت بصيرته عن واقع أرضه ، وتعلق بها تعلق الفریق الذى رأى فيها نجاته فانجذب بها بدلا من تقنينها ولم تتجاوز نظرتة لها السطحيات منها ، وانعكس ذلك على اطار التعريب فحاء لديه مرتجلا يعبر عن انجذابه اكثر ما يعبر عن واقع حضارة الغرب وادى بالضرورة اتجذابه هذا بحضارة الغرب ، الى تنكره لحضارته وعدم اكتشاف عطاء لغتها وقدرتها ، فهو كمثل الذى لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى . سطحية وارتجال وغفوية فى تحمسه لحضارة الغرب وسطحية ايضا فى معرفته لحضارته العربية الاسلامية . ومن يطالع المجلات الثقافية والادبية العربية فى القرن الماضى يلفت نظره هذا الاتجاه فى غنويته ، وعدم دراسته على عكس ما تم فى تجربتنا السابقة مع الفكر الاغريقى بالنسبة للمتحمسين لها فلم ينفهم تحمسهم آنذاك الى درجة الاستلاب بها ، والتفكر لاسلامهم ومقوماته الحضارية .

اما الاتجاه الملتزم الراضى لحضارة الغرب ، والتعامل معها ، باعتبار ان المستعمر لا يمكن معاداته وفى نفس الوقت تقبل انكاره ، فقد تحمسن مثلثوه بحضارتهم الاسلامية العربية ولغتهم تلبا وقالبيا ، وبالتالي لم يك لهم دور ملحوظ يذكر فى منطلق الاحتكاك بالفكر الاجنبى الحديث لرفضهم له اساسا من حيث المبدأ .

بقى الاتجاه الثالث التوفيقى ، وقد نضج مع تأسيس الجامعات ، وتبلور منذ مطلع هذا القرن ، ودعته الجامع بعد ذلك وهو يحاول التوفيق انطلاقا من المعرفة بحضارته والالتزام بها ، مع تغذيتها بما هو ايجابى فى حضارة الغرب ، ولكنه وجد صعوبة فى شق طريقته نظرا للظروف السياسية والاقتصادية والتربوية والاجتماعية بصفة عامة بل استحالة عليه التحرك فوق ارض حضارية وان كانت متكاملة فى انتمائها لكن ممزقة فى ميولها يسعى الخصم جاهدا ان يعمق فرقتها فيضيف الى فرقتها السياسية فرقة ثقافية وبالتالي واجه هذا الاتجاه التعريب بقدرات مجزأة مفتتة غير متناسقة ، ومشتتة ليس فقط على مستوى الاقطار العربية ، متعددة بتمعدها ، ولكن ايضا على مستوى القطر الواحد ، وانعكست عليها تناقضات العالم العربى بدلا من ان تكون وسيلة من وسائل امتصاصها وتجاوزها .

ومن ثم ففترة المنطلق باتجاهاتها الثلاثة لم تشكل ارضية رصينة للتعريب تتطور فى صورة ايجابية ، وانما اضحت عائقا علينا ان نبذل الآن جهدا فى تجاوزه لنخلق جوا مناسبا ، وموائما للتعريب جدى منسق ، متكامل موحد ، بل اضافة الارتجال فى المنطلق الى قضية التعريب فى حد ذاتها ، قضية التخلص من مجازفاته وتجاوز سلوكه المشتت الجزء المتعدد . فالناظر الى حال ما عرب خلال مرحلة المنطلق يجد خليطا من

مصطلحات ، ان كان بعضها يغطى شكلية التسمية فكثرا ما تتناقض مع مضامينها ، بل نجد أحيانا مصطلحا واحدا تقابله مصطلحات متعددة بقدر تعدد اقطار العالم العربى . حتى ان بعض هذه المصطلحات فرغ من محتواها .

ولقد اتجه البعض امام هذا الالتباس الى نقل المصطلح معريا ، دون التاكيد من وجود مقابل عربى له ، ودون التزام بالمقاييس اللغوية فى تعريب المصطلح من حيث تقبله سماعيا واخضاعه ليس فقط للمقاييس القاعدية للغة العربية ، بل وللمقاييس الجمالية والايقاعية ، واكثر من هذا نجد فى بعض الاحيان نفس المصطلح يستعمل مرة معريا واخرى بمقابل ، ولقد تفشت هذه الظاهرة اخرا ومرددا دون شك تصور المنطلق فى خلق ارضية تعريب محددة ، ومنسقة ، وموحدة . نعنى كمثل لهذه الظاهرة : السوسولوجيا او علم الاجتماع ، السيكولوجيا او علم النفس ، الانثربولوجيا او علم الانسان او علم السلالات البشرية ، او علم الاجناس . علم التربية او البيدغوجيا . علم السكان او الديمغرافيا مع ان هناك تباين بالنسبة لهذا المصطلح الاخر بين النظرية العامة للسكان والديمغرافيا كدراسة لكم السكان حركيا او قاريا .

ولقد ادت هذه الظاهرة ايضا الى التباس فى المضامين تحت تعدد المسيمات ، واصبحت تشكل عائقا بالنسبة لعطاء العلم ومعالجته ومنهجه ووضوحه ، فالعلم اساسا يرفع الالتباس لا يعطيه .

ومع هذا لا ننكر ان فترة الانطلاق رغم مجهوداتها الفضولية مهدت على الاقل لنا الطريق ، ولولا فضولها لتأخر التعرف على الكثير من هذه العلوم الحديثة سواء طبيعية او انسانية . ولا شك ان التعريب ، وقد تجاوز مرحلة المنطلق حاليا وتطلع الى مرحلة التنسيق سوف يشق طريقته ، من خلال مكتبه بالرباط ، وان يحصر المراحل جاهدا بفضل تعاون مختلف المؤسسات الثقافية والجامع الاكاديمية المهمة بهذا الموضوع . وسنحاول فى البحث التالى طرح تصورنا لمرحلة التنسيق هذه ، على ضوء ما هو كائن مع الاشارة الى كيفية التغلب على العوائق التى ورثناها من المنطلق ، لنصل الى النهاية الى ما يجب ان يكون ونعنى بذلك مرحلة التوحيد .

البحث الثالث

من مرحلة تنسيق التعريب فى العلوم الانسانية وكيفية التغلب على العوائق ، الى مرحلة التوحيد

التعرض لمرحلة تنسيق التعريب فى العلوم الانسانية يلزمنا فى البداية وقبل الخوض فى تفاصيلها بابداء ملاحظتين اساسيتين : الاولى خاصة بتحديد موضوعى موجز لما نعنى بالعلوم الانسانية والثانية

شخصيا نميل مع العلامة « جورفتش » في مناهج العلوم الى اعطاء « العلوم التاريخية » منهجا قائما بذاته في الشرح يعتمد على تخصيص وانفرادية الاحداث والوقائع في رصد مالا يتكرر .

ونكتفى بهذا التوضيح لنعود الى ما تبقى من تصنيف العلوم الانسانية ، ونعنى بذلك النوع الثالث باعتبار ان هناك : (1) علوم اجتماعية خاصة تعتمد في الشرح على المنهج التحليلي بناء على قاعدة او نسق للاحالة ، واعطينا امثلة منها . (2) وعلوم تاريخية لها منهجها التخصصي (باستثناء الاتجاه الماركسي في شرح التاريخ) يهدف في علم التاريخ الى تصحيح التاريخ لاثبات صحته بفضل الاحتكام لتعدد العوامل والمصادر ، وتحكيم البيئة في تنقية وغريبة ماضي في حاضر اصبح ماضيا بدوره . او تحليل التاريخ كما هو الحال في فلسفة التاريخ بعد التأكد من صحة وقائمه واحدائه لا قبل ذلك (كما التبس على البعض) لانه لا يمكن فلسفة تاريخ لم تثبت صحته ، اللهم الا اذا كان الهدف فلسفة اهواء المؤرخين وتذوقاتهم وميولهم . (3) العلوم السوسولوجية ونعنى بها السوسولوجيا ونظريتها العامة نشأة وتطورا واتجاهات معاصرة ، وفروعها التخصصية العملية والميدانية كالسوسولوجيا الاقتصادية ، والسياسية ، والحضرية ، والريفية ، والصناعية ، والدينية . الخ . ومن حيث الشروح في هذه العلوم السوسولوجية هناك الاتجاه البنيوي الوظيفي الذي يعطى اهمية لفورية شبكة العلاقات الاجتماعية كفعل ورد فعل ولا يركز على الخلفيات التاريخية والمتنوعات المضمرة ، والاتجاه الديالكتيكي الاستقصائي الذي يركز على التناقضات وشموليتها انطلاقا من الواقع كما هو بخلفياته ومقدماته . اما علم النفس والانثروبولوجيا وبقية العلوم البيئية (بين بين) فالشروح بنوية وظيفية او ديالكتيكية تنطلق من الانتهاء للاتجاهات . وان كنا نميل الى الحاق السيكولوجيا الاجتماعية بالسوسولوجيا في الشروح بينما سيكولوجية الطفل نحتكم فيها للاستيمولوجيا النشوئية او التحليل لمرحل النمو النفسى ، (فرويد اويونج) .

اما موضوع هذه العلوم الانسانية فهو بدوره تتحكم فيه العلاقات والبنيات والوظائف اكثر ما تتحكم فيه قوانين طبيعية حتمية (1) الانسان وعلاقته بماضيه (التاريخ) (2) بحيطه (الجغرافيا والايكولوجيا) (3) بالآخرين شكلا وكما (الديمغرافيا) (4) بالتقاليد والعادات والاعراف لتحقيق تجانسه (الانثروبولوجيا) تراثية ثقافية او اجتماعية (بخلاف الانثروبولوجيا الطبيعية) (التي تركز على التاريخ الطبيعى للانسان) (5) بوسائل التوصيل والتعبير والرموز والعلامات والاشارات (العلوم اللغوية) (6) بالضبط الاجتماعى حقوقا وواجبا ووسائل الردع (العلوم القانونية) (7) بثروته انتاجا وتبادلا واستهلاكا (العلوم الاقتصادية) (8) بالسلطة (علم السياسة) (9) باغواره وشعوره كمرد وتأثره في

خاصة بوضع التعريب بين هذه العلوم ، والرياضيات والعلوم الطبيعية التجريبية . الخ ، فبالنسبة للاولى حينما نصنف استولوجيا المعارف بهدف تقنينها لا الاكتفاء بتنظيرها كما هو الحال في نظرية المعرفة او تحليلها كما هو الحال في فلسفة العلوم ملتزمين نسي التتبعين بمنهجيتها وتصنيفها ، نجد ان المعرفة العلمية تلتزم بتعريف التفكير الرياضى المؤدى الى اليقين على انه مسيرة استدلالية من فروض او مسلمات بديهيات وتعريفات ومصادر (منذ اقليدس) والمنطق الصورى لارسطو الذى هو ضرب من التفكير الرياضى ايضا بقدرات مسلم بها للوصول الى نتائج يبينها التجريب في العلوم الطبيعية في العصر الحديث تعرفه على انه دراسة انطلاقا من اساس تعميم المبادئ على ظواهر بعد وصفها لتعليلها وتخريجها اعتمادا على الملاحظة المباشرة المخبرية حيث يمكن عزل الظاهرة معمليا والسيطرة عليها وقياس كم جزئياتها وبالتالي اجراء التجارب بهدف الوصول الى اكتشاف القوانين الطبيعية المسيرة لها ، وكيفية تطويرها ، واعطاء النتائج الملتزمة بحتية هذه القوانين او تصحيحها او تخطئتها ، او تحويلها . الخ ، ومن حيث الشرح والتحليل والتفسير يعتمد في ذلك منهجيا كما ذكرنا على اساس التعميم للمبادئ مع تنوعه وتكيفه في كل علم على حدة .

اما بالنسبة للظواهر التي لا يمكن عزلها معمليا والسيطرة عليها في المخبر كالظواهر الانسانية حيث تحكم الصفات الذاتية ايضا او الثانوية كالقيم الاخلاقية والجمالية والوجدانية والمشاعر والروحانية فيلجا فيها الى تعدد الملاحظة ابتداء من الملاحظة غير المباشرة كالملاحظة الوثائقية (نسبة الى وثائق) والتاريخية والاحصائية والمقارنة . كذلك يمكن استثناس الملاحظة المباشرة التجريبية في بعض مناحيها « كسيكولوجية الظل مثلا ، وما يمكن توفير شروط التجريب فيه واكتشاف الصفات الاولية الثابتة الموضوعية» له وينصب الهدف اساسا لا على اكتشاف قوانين (كما زعم البعض) على الاقل نسي المرحلة الحالية من هذا القرن ، وانما اكتشاف العوامل المهيئة للسببية بفضل التكرار والانتظام بين عوامل اساسية وثانوية ويلعب الاحصاء حاليا دورا هاما نسي ذلك . اما من حيث الشرح والتحليل والتفسير ، فلا يعتمد كما هو الحال في علوم الطبيعة على اساس التعميم للمبادئ وانما تصنف علوم الانسان بين علوم استطاعت ان تحدد لها قواعد او انسقة كما هو الحال في العلوم اللغوية ، والعلوم الاقتصادية ، والعلوم القانونية ، اتفق عليها ويطلق عليها منهجيا العلوم الاجتماعية الخاصة . ويمكن ان تلحق بها الديمغرافيا والجغرافيا ، وكذا العلوم التاريخية (حسب التحليل الماركسي للتاريخ وربه بانسقة تاريخية تكيفت حسب علاقات وقوى الانتاج لتحديد انماطه وتؤول به الى حتمية يلمها الصراع الطبقي حول بنية المجتمع) وان كنا

المجتمع (العلوم النفسية) (10) بالآخرين لا شكلا وكما ،
وانما مضمونا وكيفا في الاسرة والجماعة والطبقة
والمجتمع من خلال كل ابعادها ونتاجاته شموليا
(السوسولوجيا وفروعها التخصصية) حيث لا تطرح
العلاقات في اطارها النوعي وانما في تناقضاتها الشمولية
لسد قصور شروح العلوم الاجتماعية الخاصة حين
تأزمها ، بجانب دراسة الانسان لا كمرد في حد ذاته
وانما انطلاقا من وحدته الاجتماعية اسرية او جماعية ،
او طبقية او مجتمعية ، [1] بخالفه ومصيره بهدف
توافق الرؤية الدينية والعلمية لا احلال احدهما بدلا من
الآخر ، العلوم الدينية في تصورنا الاسلامي لها . اما
الدين في جوهره (الاسلام مثلا) فسوف يبقى اساسا
متجاوزا لكل فلسفة وعلم اللهم الا لدى المتجاهل او
الجهول .

وعلى ضوء هذه الملاحظة الاولى من خلال نظرة
مركزة لمفاهيم علوم الانسان ننقل الى الملاحظة الثانية
الخاصة بوضعية التعريب بين هذه العلوم من جهة
والرياضيات كالحساب والهندسة والجبر وعلوم الطبيعة
التجريبية الفيزيائية والكيميائية . . . من جهة اخرى .
التعريب للمصطلح كى يتم في صورة علمية لا بد وان
يهتم بفزيولوجية المصطلح اهتمامه بمرنولوجيته ، اى
يهتم بوظائف المصطلح من خلال مضامينه بقدر اهتمامه
بشكله وبنيتة من حيث المقابلة والمعادلة . بل من الخطأ
طرح المقابلات اللغوية والمعادلات جزائيا . فكل مصطلح
له حياة ووظائف الى جانب بنيتة ، نجدها في الرياضيات
تحددها الفروض والرموز العددية الحسابية وما
ابسطها وادقتها وفي العلوم الطبيعية تحددها بسهولة
التجارب المخبرية او تلميها الملاحظة التي ولدتها وانشأتها
من لدن الباحث ، بل ان بعض المصطلحات في علوم
الطبيعة ولدت على ضوء المضمون لا ان المضمون حدد
باستعمالها كما سوف نلاحظ في بعض مصطلحات علوم
الانسان . ومن هنا كان راينا ان التعريب في العلوم
الطبيعية اكثر بساطة لان مضامينه محددة اساسا ولا
تتغير بتغير المجتمعات خصوصا ما جد في عصور التطور
العلمي الحديث واكتشافاته واختراعاته ، فلا يمكن ان
يبحث عن تاريخ مجهول لمصطلح ابتكر مع ابتكار مضمونه
بناء على التجربة او الاكتشاف .

اما ما سبق من مصطلحات في علوم الطبيعة عرفتها
الحضارات السابقة ، ففي هذه الحالة يحال الى
اطارها التاريخي حين التحديد شكلا ومضمونا مع
اضافة ما جد فيه من اجتهاد ، كمثال المصطلحات التي
عرفتها حضارتنا الاسلامية العربية في ميدان العلوم
الطبيعية والكيمياء واجتهادات جابر ابن حيان ، المفروض
وفاء منا لحضارتنا ان نعيدها الى ارضيتها بمصطلحات
عربية اساسا مع الاشارة الى ما حدث لها من تطوير
وتطور في الحضارة العلمية المعاصرة . اما ما جد فنكتفى
بتعريبه شكلا ومضمونا ، لان البحث عن مقابل او
معادل يعنى اختلاق موازي لمصطلح ، له بدوره حياته

وظائفه ، والحكم على مصطلح مبتكر بانه له مضمون
تاريخي في لغة اخرى ، وهنا تكون امام مصطلحين لا
مصطلح واحد احدهما بلا ماضى لانه مبتكر والاخر بلا
حاضر او مستقبل لانه يعيش التجربة التي آلت الى
توليد المصطلح . وقد يبدو هذا التناقض واضحا نسي
المصطلحات التي تحمل اسماء مبتكرها او اسم التجربة
موضع المصطلح . فكيف يوضع لهذه المصطلحات في هذه
الحالة مقابل عربي . اذن تعريب بكل بساطة شكلا
ومضمونا .

وهكذا نرى ان تبسيط قضية تعريب مصطلحات
الرياضيات والعلوم الطبيعية بتبني نهج التعريب شكلا
ومضمونا لما هو جديد سوف يساعد على الاتجاه بنا الى
المعاصرة العلمية ولا نعيش في زمان متراجع عن زمانه .
حين نعرف مضامين تجاوزها زمانها . فمن المعروف
ان العلوم الطبيعية والبحث والرياضية بفضل التقدم
في المرفة التكنولوجية المعاصرة تعيش في زمن
سوسولوجي سابق لزمانه .

اما بالنسبة لقضية التعريب في علوم الانسان او
العلوم الانسانية فالوضع يختلف حيث الرابطة في بنية
المصطلح المرفولوجية تنعكس عليها وظائفه في الحياة
الانسانية والاجتماعية ولا تحددها تجربة عملية ومن
ثم فكل مصطلح انساني له صفاته الذاتية يعيش معطيات
بيئته الاجتماعية ويمبر عنها قيميا ، او افكار ، او موافقا ،
او ادوارا ، بل وتنعكس عليه ايضا الخبرة الثقافية
والحضارية لكل امة فهو يجسد وجدان شعبي وعبقريته .
وبالتالى تبني المصطلحات الانسانية يطرح اول ما يطرح
مبدأ الموازنة بين المضامين مضمون المصطلح في لغته
الام ثم كيفية خلق مضمون محدد له في ارضيته الجديدة
يعبر عن واقعه لا واقع ما نقل عنه . فتعريب
مصطلحات الانسانيات خصوصا في اهمها . العلوم
التاريخية ، والسوسولوجية ، والسياسية ،
والاقتصادية والنفسية والدينية والانثروبولوجية ، وحتى
الفلسفة والقانون (بالنسبة لشريعنا الاسلامية الخالدة)
لا بد ان تنطلق فيه معايير تحديد المضمون من ارضيتنا
بعد الاشارة في البداية الى مضمونه في لغته . اما اذا
تبيننا مضامينه في لغته الام فسوف يصبح وسيلة من
وسائل مسح حضارة امتنا وعطائنا تحت شعار تجديدها
وتحديثها .

وبالتالى مقاييس التعريب في الرياضيات والعلوم
الطبيعية غير مقياس التعريب في علوم الانسان ، فهذا
النوع الاخر لا يكفى فيه مجرد التخصص النوعي
للمعرب (بكسر الراء) وانما يتطلب منه قدرة وعمقا
في تعرفه على ابعاد حضارته ولغته ، بقدر عمقه في
الحضارة واللغة المعرب عنها . السى جانب التزامه
الصادق بوجدان امته ، وعقيدتها وعبقريتها شعوبها ،
والا آل التعريب الى غير ما يرمى منه ، واصبح يغطى
خلفيات ومقنعات مبيته سلفا .

أما الخطوات الموضوعية العملية للتعريب فى
الإنسانيات تحت راية التنسيق توطئة لتوحيد المصطلحات
فنددها كما يلى :

الخطوة الأولى : تتم خلالها عملية الحصر والجدونة
للمعاجم الموسوعية التى ظهرت فى اللغة العربية ،
خصوصا ما تبنى منها لأكثر من لغتين (أى العربية
والفرنسية والإنجليزية) نظرا لتفاعل
العالم العربى مع الثقافتين الفرنسية
والإنجليزية ، ثم بعد ذلك الألمانية وغيرها ، الى جانب
الاهتمام بمضامين المصطلحات أى شرح وظائفها ومعانيها
لا مجرد معاجم لغوية تكتفى باعطاء المقابل ، وخلال
عملية الحصر هذه تصنف هذه المعاجم الموسوعية بين
ما ينتفع به أساسا وما ينتفع به نسبيا وما يستبعد . ثم
يطبع هذا التصنيف التحليلى ليوزع على الجامعات
والمؤسسات الثقافية كدليل فى هذه المرحلة الوقتية فى
انتظار ظهور المعاجم المنسقة الموسوعية الموطنة للمعجم
الموسوعى الموحد فى فروع العلوم الإنسانية الأساسية
بالنسبة لحضارتنا مبتدئة بالمعجم الموسوعى الموحد فى
العلوم الإسلامية والتاريخية ، ثم المعجم الموسوعى
الموحد فى العلوم السوسولوجية والنفسية والأنثروبولوجية
ثم المعجم الموسوعى الموحد فى العلوم القانونية
والسياسية والاقتصادية ، الى جانب الفروع الكاملة
لهذه العلوم ولكن قبل أن نصل الى هذه المرحلة النهائية
للتعريب علينا أن نمر بالخطوة الثانية والثالثة .

الخطوة الثانية : تعنى حصر وجدولة لا للمعاجم
وانما للمصطلحات وهذه بدورها تصنف فى قسمين من
حيث المصادر ومن حيث النوعية ، أما المصادر فتصدر
فيها : (1) المجامع اللغوية العربية وما اتفق عليه ،
(2) تكمل بمصطلحات اكتسبت مشروعيتها من حيويتها
انبوية فى المعاجم الموسوعية التى وضعت كاستجابة
لضرورة التعليم وفوريته من قبل القائمين على التجربة
اليومية فى الجامعات ودور العلم .

أما التقسيم النوعى للمصطلحات فنعنى به :
(1) مصطلحات لها حياة تاريخية منبثقة من ذاتية أمتنا
وعقريه تراثنا ووجدان شعوبنا ولها مضامينها التى
ارتضيها كمثل : دين ، أمة ، فلسفة ، ثقافة ، تراث ،
نبي ، رسول ، الحاد ، شرك ، ظلم ، حد ، الحرمات ،
أخلاق ، معنويات ، نية ، وجدان .. الخ ، فمن الخطأ
الانطلاق من المضمون الأجنبى وتبنيه ولكن يحدد المضمون
من خلال تجربتنا الحضارية ثم يشار الى مضمونه فى
حضارة الغير المعاصرة ثم يعطى التخريج للمضمون وذلك
فى أسطر محددة . (2) أما المصطلحات الأخرى للعلوم
الإنسانية التى ليست لها حياة تاريخية محددة فى حضارتنا
وانما وليدة الاجتهادات العلمية فى حضارة الغرب
خصوصا فى الأنثروبولوجيا والسيكولوجيا والسوسولوجيا
والاقتصاد فمن حيث الشكل للمصطلح من الأولى أن
يبحث عن مقابله العربى واذا تعذر اشتق أو عرب
بكل بساطة ان كان قابل لذلك من حيث تقبله سماعيا .

أما المضمون فيحدد فى البداية حسب معطياته الحضارية
ثم تقوم بعملية مواعة له مع ما يتمشى ومعطيات
حضارتنا كمثل مصطلح اشتراكية ، رأسمالية ،
ليبرالية ، شيوعية ، ايدولوجية .. الخ ، يبدأ بتحديد
مضمونه عندهم ثم تبدأ عملة المواعة والتكيف حسب
ذاتيتنا الحضارية وذلك بطرح تصورنا لمضمونه حسب
قيمنا وعطائنا ، ثم تتم عملية التخريج للمصطلح ، وذلك
فى أسطر معدودة ، ولقد التزمنا بذلك فى معجمنا
الموسوعى العالى للعلوم السوسولوجية والسيكولوجية
والأنثروبولوجية الذى نحن بصدد أخراجه حاليا لدى « دار
النشر الباريسية جتزر » .

أما الخطوة الثالثة : فهى تنطلق من وجود هذه
المعاجم الموسوعية المنسقة (بكسر السين) بين العلوم
الإنسانية ، والمنسقة (بفتح السين) بين التطار
العربية تسليما مبهدا التعدد فى هذه المرحلة مع الاتجاه
بها الى الامتصاص والاذابة ، أى امتصاص التنوع
والتعدد الموجودين حاليا ، فى الاستعمال العلمى
للمصطلحات ، لنخلق حدودا فى البداية بين الاستعمال
الأولى المباح فى كل مصطلح ، وما تبنى علميا من هذا
الاستعمال بمضمون معين يغطى استعمال علمى محدد ،
اذ من الصعب الانطلاق مباشرة الى توحيد المصطلح
دون المرور بمرحلة تنسيقية وسطية واعية بالتركة التى
ورثتها ويمكن أن نسميها مرحلة المعاجم الموسوعية
المنسقة (بكسر السين) لتؤهل للمعجم الموسوعى الموحد
فى كل مجموعة علوم ببنية أساسية من المجموعات الثلاث
السالفة الذكر فى العلوم الإنسانية ومع الاجيال القادمة
يتم تعميق ما وحد على ضوء التطورات العلمية وتوالد
علوم ببنية جديدة ..

وكخلاصة : ان كانت هناك عوامل اعاقه
ورثناها فى الفترة المعاصرة فقد ورثنا أيضا حوافز الدفع
والثقة عبر قرون من تاريخنا ، فمقيدتنا المشتركة لدى
غالبية الأمة العربية ايماننا وديننا ، ولدى الأمة برمتها
حضاريا ، ولغتنا العربية القادرة بما اعطت علميا ،
ومعاناتنا وامجادنا التاريخية الواحدة القابعة فى وجدان
كل انسان منا ، تجعلنا ننظر الى غد التعريب بقدره
واصرار ولن يكون بحال أداة للتريف والزيغ ، وانما
مصلا للحصانة والمقاومة فى سبيل بقاء الذات وتجاوز
المواجهة الحضارية لتكون فى طبيعتها وحملتها لرايتها .
غير أنه لا يمكن للتعريب كما تصورناه فى الصفحات
السابقة أن يعزل عن بقية الاهتمامات الثقافية الكاملة
له والمدمعة لمعطائه ونمى بذلك :

1 - الاهتمام بنشر امهات التحف المشككة لثروتنا
الحضارية فمنها نستقى المضامين الاصيله واعادة ما
نشر فى اطار متكامل بدلا من القطع المتبورة التى لا تشكل
تيارا فكريا فنحن فى أشد الحاجة حاليا الى نظرة شمولية
متكاملة لمعطائنا الحضارى كما هو الحال فى حضارة
الغرب الآن ، ثم تسهيل تداول هذه التحف فى طبقات
ميسرة وبسطة للشباب ، وهذا بدوره يدعونا الى اعادة

سلب شبابنا من ذاتيته وتعريفه من انتماؤه ، وتشكيكه في أرضيته .

وفي النهاية ان الامل الكبير ليراودنا في ان « منظمة الثقافة والتربية والعلوم » بما لها من جدارة ، وما عليها من مسؤولية ، سوف تسمى بجهوداتها النيرة البناءة للمساهمة في بناء الانسان العربي ثقافيا وعلميا بتوحيد معاجمه ومعرفته ، واعادة صياغة عطاء حضارته ، وتغذيته بايجابيات الفكر الانساني المعاصر ، هذا الامل الكبير الذي يبرره ما حققت هذه المنظمة حاليا ، ومكتب تنسيقها ، من عطاء موضوعي نعمت به جميعا ، وبحثنا من جانبنا على الاسهام ، لا الوقوف في موقف المتفرج ، في هذا الجهد تمهيدا للطريق التي سوف تشقها اجيال الفد الصاعدة لتسير ثابتة رائدة لامتها في كل دروب المعرفة ، ومن سار على الدرب الصحيح وصل .

دكتور رشدي فكار

النظر في تاريخنا - كما نكرر ذلك دائما - لانه لا يمكن استشارة تحف حضارية خالدة في غيبة تاريخ علمي مفلسف لها ، وهذا يتطلب القيام بعمل جماعي متكامل يرصد مراحل تطور امتنا مصدرا لانجازاتها الفكرية في تطور الانسانية حتى نعطي ثقة لبراعمنا ورجال الفد في حضارتهم ، دون أهواء او تذوقات شخصية لكل مفكر على حدة ، من خلال خلفيات المؤرخين ونزعاتهم .

2 - ترجمة امهات الانتاج الانساني العالمي الحديث والمعاصر من زاوية اختياراتنا الحضارية وما يتمشى وتدعيم تراثنا وذاتيتنا ، وذلك بتقديم النظريات العامة لحضارة اليوم الغربية وقدراتها المنهجية لا ترك الساحة الفكرية للترجمات التجارية والمببئة والموجهة بهدف

التعريب ومراعاة جمال العربية وأوزانها

للأستاذ أحمد عمار

المستشار بسفارة السنغال ببيروت

نشر فيها يلي نص الرسالة التي وردت علينا من الاستاذ المحترم أحمد عمار ونحن نؤكد لسيادته حرصنا الشديد على الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجمالها في كل ما تقدم من مشاريع للوطن العربي في مجال التعريب :

« تَلْفِيزِيُون » تَلْفِزَةٌ . ومنها نطلق الى تَلْفِزٌ يُتَلْفِزُ مُتَلْفِزٌ
وَمُتَلْفِزٌ وَتَلْفِزٌ تَلْفِزَةٌ .

ثم يتصرف الفعل مع جميع الضمائر وتنصرف الاسماء الى المثنى والجمع والى المذكر والمؤنث ويمكن للمتحدث ان يستعمل الكلمة كاسم يدل على شيء مثل « التلفزة » في قول الصحافي : اخذت هذا الخبر من اذاعة التلفزة السنغالية .

— او ان يستعملها كاسم يدل على حصول عمل ، كالفعل ، مثل « تَلْفِزَةٌ » في قولك للصحافي ، ان تلفزتك الجلسة العملية امر ضروري .

— اما ما يقع الآن في عدم مراعاة الاوزان المنبثقة من عبقرية اللغة بادماج الكلمة الاجنبية التي فيها حركات ثقيلة متوالية مثل « تلفيزيون » فهذا ما يمجح الذوق السليم وترفضه عبقرية هذه اللغة ويستجدهن الوقع الموسيقى لما فيها من ثقل الحركات المتوالية بالكرس ثم الانتقال منها الى الضمة المحدودة .

— ولست بهذا الكلام ضد استعمال الكلمات الاجنبية التي تغذى هذه اللغة علميا وادبيا وفلسفيا بل يعني اننا ضد استعمال سيء ادبا وذوقا ، وضيق من حيث اللغة والصرف .

— وانا افضل نحت الكلمة الاجنبية الجديدة نجنا عربيا ان تكن موجودة من اللغة العربية من ان نخترع كلمة عربية جديدة .

— ولتتمس من سيادتكم ان تتقبلوا منى فائق الاحترام وتقدير مجهوداتكم الجبارة . والسلام عليكم ورحمة الله .

الى حضرة المدير لمكتب التعريب بالمغرب الاتمى .
سيدى المدير ، انا ، بصفتى كاستاذ فى الآداب العربية قبل ان اكون مستشارا فى السلك الدبلوماسى ارجب ان اشارككم فى اعمالكم الشاقة لحل المشكلة اللغوية التى تتركز على شيئين اساسيين :

— الشىء الاول هو عدم اتفاق البلدان العربية على مصطلحات موحدة تحترم فى جميع الاقطار الاسلامية .
— والشىء الثانى هو عدم مراعاة الذوق الادبى فى هذه اللغة . وهو شىء هام جدا .

وفىما يخص المصطلحات الجديدة فليقترح المكتب على جميع الدول التى اتخذت اللغة العربية لغة رسمية ان تكون لجنة تقوم بتوحيد المصطلحات وينتقيب اللفاظ حسب متطلبات الاصوات والاوزان العربية التى بدونها تفقد اللغة العربية جمالها وذوقها الادبى من جهة ثم تدخل فى سجن ضيق لا تستطيع ان تتصرف فيه من جهة اخرى .

— ومراعاة الاوزان وترتيب الاصوات حسب القواعد الصرفية والنحوية من جهة وحسب متطلبات الفصاحة ، كاجتناب تناثر الكلمات من جهة اخرى ، تضمن لهذه اللغة كيانها البلاغى ومثانتها اللغوية ونغمها الموسيقى واوزانها الصرفية العظيمة .

وباحترام هذه الاوزان تبقى هذه اللغة فى مجال واسع من الحرية والتصرف مثلا عند ما نأخذ كلمة اجنبية ونريد ان نعربها ننظر للجنة التى اشربت اليها الى اقرب وزن من الاوزان اللغوية المنبثقة من عبقرية هذه اللغة فنقول ، على سبيل المثال ، « نسى

معالجة التعريب في العلوم الهندسية

الدكتور على محمد كامل

اعتبارات التعريب :

خذ مثلا مصطلح *porte valve* فهو للسوريين بالفرنسية يعنى « حاملة الصمام » ، أما *valve port* فهو للمصريين بالانجليزية يعنى « ثغر الصمام » ، وشتان ما بين الحاملة والثغر .

وحتى كلمة « أبدا » العربية الصميمة يستعملها السوري بمعنى « نعم ، الى الأبد » ويستعملها المصرى بمعنى « لا ، الى الأبد » .

ولا زال الى اليوم كثير من علماء العرب الأفاضل يستحى ولوج المؤتمرات العلمية ذات الصبغة الاقليمية العربية حيث من الطبيعى أن يتبادل الفكر مع بنى أمته فيما يهمهم بلقمتهم العربية ، بينما يقبل بلا تردد الأسهم فى المؤتمرات العلمية التى تعقد على الصعيد الدولى حيث يمكنه الاطلاق عن جداره باللغة الاجنبية التى درس بها .

ولا ينبغى أن يؤخذ الترابط العلمى بالعربية بين أبنائها على أنه يعنى قطع الجسور الحضارية التى نشأت بين بعض الاقطار العربية وبين الدول المتقدمة بل لكل منها أن يستغل تلك الجسور فى اثناء التكامل بينه وبين سائر الاقطار العربية ، ان معرفة لغة أجنبية حية واحدة على الأقل أصبحت ضرورة للمشتغلين بالعلوم والهندسة المصرية ايا كانت جنسيتهم أمريكية أم روسية أم انجليزية أم فرنسية ، فان لغة واحدة أصبحت لا تكفى لاستيعاب كل ما يقدمه العلم من جديد ، وذلك أحرى بالعربى الذى يريد أن يفيد من الجسور الثقافية بينه

منذ بداية الستينات وتسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس فى القاهرة يمارس التعريب ، يحدوه فى ذلك اعتباران : الاول أسمى فلسفى والثانى قطرى وأتمى :

أما الاعتبار الاول فهو احتياج شباب الطبيين العرب الى استغلال لغتهم الاصلية فى التفاهم العلمى بينهم وبين بعضهم على تحقيق تكامل أقطارهم اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، اذ أن هذا التكامل هو الذى توفرت مقوماته للتجمعات السكانية ذات التلاحم الترابى فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى اتحاد الجمهوريات السوفييتية فبلغت كل منها مرتبة الدول الأعظم ، ولو لم تتشعب لهجات اللغة اللاتينية التى عمت أوروبا فى عهد الإمبراطورية الرومانية ثم أصبحت بعد ذلك لغات متفرقة لما لهنت أوروبا الآن وهى تحاول بتكاملها الاقتصادى أن تعتنق صبغة الولايات المتحدة الأوروبية لتتحق بركب الدول الأعظم . أما العرب فقد توفرت لهم مقومات التكامل من موارد اللغة والثقافة والثروة المادية وبقي عليهم أن يمارسوها بكل قواهم ليمسحوا كلغة حضارية شامخة .

عند ما بدأت ممارسة التعريب الذى اشرت اليه كنا نجتاز مرحلة الوحدة بين القطر السورى السابق فى هذا المضمار وبين القطر المصرى ، فعز علينا أن نتقن تلك الوحدة بالفرقة بين المفاهيم سواء المترجمة أو الاصلية .

الانجليزي فكتت انتقله الى الطالب عن طريق الكتابة على السبورة أو الاملاء البطيء أو اوزعه على هيئة مذكرات مطبوعة — ولم تكن تلك الطريقة تشفى غليلي كمدرس فهي بدلا من أن تجعل للتقائى بالطلبة فرصة تعليمية لهم الزمتهم وضعا سلبيا وحرمتنى الاحساس بانفعالاتهم والتعرف على ما يكتسبونه في ذلك الالتقاء من معلومات أو قدرات ، بل ان الخلط في هذا الاسلوب وركاكته أصابا تفكير الطلبة ومنطقهم فأصبحا غماسا ، وتعبيرهم فأصبح مشوشا .

كما انى لما عدت بالذاكرة الى ايام ممارستى للهندسة بعد تخرجى من الجامعة وجدتنى كنت في وضع ضعيف وغريب بالنسبة للتقنيين والعمال الذين كان علي قيادتهم : فهم يتكلمون بلهجة ويلغة لم ادرسها فاذا اردت ان ارشدهم في عمل لم يفهموني واعتبروا كلامى مدرسيا نظريا بعيدا عن العمل وظروفه ، بل انى كنت عاجزا فعلا عن ارشادهم بلغة يفهمونها وتعبيرات تحمل الدقة والوضوح الضرورىين اليهم . فاختلاف التعبير احدث في اجزاء البنيان الهندسى شرحا اضعفه وحدًا من نوره .

اساليب التعريب :

مضى عليّ عقد من الزمان وانسا ازاول التدريس بالخليط العربى الانجيزى قبل ان استجمع عزميتى — وقد أصبحت أستاذ المادة التى ادرسها ورئيس القسم الذى اعمل به — واستندت الى نص قانون الجامعة الذى يعتبر العربية لغة التدريس ما لم تكن هناك عقبات في سبيل ذلك . وخطوت نحو التعريب الكامل للمحاضرة فلم اجد العقبات التى كان البعض يتصورها :

فكثير من المصطلحات كان متداولًا — وان احتاج بعضه الى شىء من التهذيب ، وغيرها كانت تحتويه المعاجم — وان اعتراه بعض التشبث ، أما الباقي فقد افادتنى خبرة التدريس لعشر سنوات خلت في الوثوق من معناه بدرجة تؤدي في يسر الى اختيار اللفظ العربى الصالح لتأديته . وكان عليّ ان اتعود اتباع الاسلوب العلمى الصارم في التعبير وأخلص لفتى من المحسنات والتعقيدات النفظية التى تغطى المعنى وتصرف الانتباه حتى اصل من اقرب الطرق وأوضحها الى اذهان الدارسين فانتقل اليهم المفاهيم في ترتيب منطقتى سلس . وقد ادى بى ذلك — وما زال — الى تذوق اللغة العربية والاعجاب برشاققتها وبنيتها المرنة .

ولعل في اسلوب التعريف بكتابى عن سريان الحرارة الوارد في اللوحة رقم (1) مثالا على ما أعنيه .

وقد تبين لى بشكل عام بعد تلك التجربة انه لا داعى في تطويع اللغة لتؤدى وظيفتها في نقل العلوم وحفظها أن يجيء ذلك تطورا على التوالى مع الاصن فيفرعه ويشبته كما فعلت دول أوروبا باللغة اللاتينية ، بل ان التطوير الذى لا غنى عنه لبث الحياة في اللغة

وبين الحضارات المصرية ليقوى بها ذخيره ويتقاسمها مع اخوته في العروبة ليس فقط عن طريق متابعة المجلات والنشرات العلمية ، فقد أصبحت هذه من الكثرة والانتصاب ما يؤدي بطالب العلم والخبرة الى استكمالها بالتراسل مع الاوساط المتخصصة في فرعه بالبلاد المتقدمة عن طريق لغتهم .

أما الاعتبار القطرى الواقعى الذى أوحى بالتعريب المشار اليه فهو بدوره ذو شقين أولهما تزيوى مؤداه ان المفاهيم العلمية اذا القيت على اندارسين باللغة التى يفكرون بها نفذت بيسر الى اعماق اذهانهم فتفاعلوا معها وامكنهم ان يمتطقوها وان تتفتح لهم ابواب الابداع فيها . والشق الثانى اجتماعى مؤداه ان على المهندس ان يتعامل مع باقى الهيكل البشرى الهندسى من تقنيين وعمال وان ينقل اليهم المفاهيم بدقة ويطور معلوماتهم ويوضحها لهم بلغة يتقنها هو ويفهمونها هم ولا التباس فيما تحمله كلماتها وصيغها من معان . وكلا الشقين كان يشير بقوة الى أن التعريب هو الحل : فعند ما سافرت الى انجلترا في الاربعينات للحصول على الدكتوراه في الهندسة لم اجد صعوبة في الدراسة باللغة الانجليزية اذ كانت تلك اللغة تدرس لنا في المدارس الثانوية على ايدي مدرسين انجليز ، بل ان بعض الاساتذة الذين درست عنهم الهندسة في جامعة القاهرة كانوا انجليز . وما لبثت بضعة اشهر في انجلترا حتى وجدتنى افكر باللغة الانجليزية واتفاعل مع المحاضر وأنا استمع اليه . ولكنى لما عدت في الخمسينات الى مصر لا تولى التدريس بجامعة عين شمس كان الحال قد تغير ؟ فزاء الانفجار السكاني والانفجار التعليمى لم يعد في مقدور مصر ان تستمر في تلقين ابنائها اللغة الانجليزية على ايدي مدرسين انجليز حتى يشبوا على التفكير باللغة الانجليزية ولذا وجدت أن قدرة الطلبة على متابعة المحاضرة باللغة الانجليزية قد ضعفت ، واكتشفت انى لو القيت نصا كاملا بها بالسرعة المعتادة في الكلام لاتخذ بعضه طريقه الى ما يدونه الطلبة من مذكرات فى الخطوات التالية :

أ — تفهم سياق النص الانجيزى

ب — ترجمته ذهنيا الى العربية التى يفكر بها الطالب .

ج — تفهم المحتوى العلمى للنص العربى

د — اختصار النص العربى لوضعه في قالب المذكرة المكتوبة .

هـ — ترجمة النص المختصر الى الانجليزية لتدوينه.

والى هنا اكون قد تناولت عدة نصوص اخرى من يمكن الطالب من ملاحظتها ، فتخرج مذكراته ممسوخة وناقصة . وعندئذ التجأت كزملائى الى الشرح باللغة العربية مستعملا المصطلحات الانجليزية ، أما النص

تعريف

صيغت مادة هذا الموجز في سريان الحرارة لتعنى بالطبيعية الأساسية للتطبيقات التي يتلقاها الدارس في مجال الأفران والمحركات وأجهزة المنشآت الحرارية في نفس الوقت الذي يدرس فيه هذه المادة وبعده ، واختط منهجها باعتبارها متواليًا على دراسة أسس الطاقة الحرارية ومتوازيًا مع سريان الموائع : فبينما يحدد القانون الأول للطاقة كمية الحرارة التي تسرى بأسلوب ما ، ويعين القانون الثاني قابلية الحرارة للسريان ، يخضع معدل سريانها لعلاقات تجريبية تعتمد على أسلوبه الذي قد يكون أيا من الإشعاع أو التوصيل أو الحمل أو يكون بعضها منها .

وقد بدىء هنا بالإشعاع - خلافا لما جرى عليه العرف في مراجع أخرى - تأكيدًا لطبيعته الموجبة المائلة للبصريات واستغنائه عن المادة الوسيطة بخلاف الأسلوبين الآخرين .

أما التوصيل والحمل فقد استهلا على الصعيد الجزئي بالتوصيلية وتلاها توزع درجات الحرارة في الجوامد ثم في الطبقة الجدارية بينها وبين الموائع الملاصقة لها واختتمًا بتطبيق صيغ التعادل على انتقال كل من المادة والتحرك والطاقة في أجهزة تبادل الحرارة .

والفضل في بلورة هذا المنهج يرجع إلى معاناة تدريسه في خلال السنوات العشر الماضية وتبادل الرأي في تفاصيله مع الزميلين الدكتور حسين زكي بركات والدكتور ابراهيم فتوح جاب الله .

على محمد كامل

سبتمبر 1974

لوحة رقم (1)

لفظ جناح يحمل في طياته شرح نمط حركة المائع حول هذا الجزء والقوى التي تتولد من تلك الحركة والشكل الذي يساعد تلك القوى على حسن الاداء ، فالقائم بالتدريس يجد في هذا التعبير ما يمكنه من نقل المفهوم بأقرب الطرق وأرشق الصيغ الى الدارسين دون لبس أو خلط أو تكرار في سياق معالجته للمادة العلمية .

أما اذا لم يجد المحاضر بعينه في المعاجم وهو يبحث عن تعبير لمفهوم جديد أو غريب ففى وسعه أن يسك التعبير بالعربية ما دام متمكنا من المفهوم العلمى للفظ ومحيطا بالوسائل اللغوية للاستنباط كما هو وارد في الامثلة التالية :

فلاشتقاق من اصل عربي في صيغة مصدر صناعى أعطى « انتاجية » ، وصيغة فعلا من (غلى) أعطت « غليان » ليذل على الاضطراب ، واسم الفاعل من (حسب) أعطى « حاسبة » لاسم الآلة ، وتشديد عين اسم الفاعل لتكرر الحدث أعطى « ضغاط » ، والاشتقاق من أصل لاتينى أعطى « تلفاز » ،

والجاز أعطى « نظم » = Systême لتجانسه مع الجيات المنتظمة في عقد ،

والنحت أعطى « متسدرج » أى (متساوى درجة الحرارة) = Isotherme

والتوليد أعطى « هاتف » = Telephone

والترجمة أعطت « محرك » = Moteur

وتقليب الجذر الثلاثى أعطى « جابذ » =

Centripète = ضد « نابذ » Centrifuge

ان الذين يقولون بالتريث في تنفيذ التعريب حتى تستكمل المعاجم ما فرزته وتفرزه الحضارة المعاصرة والتكنولوجيا من مصطلحات يستعملون الامر كلما ذكروا ان حصيلة العلوم الحديثة في عالمنا هذا تزداد بنحو خمسين مصطلحا جديدا في كل يوم . فهل بلغهم ان هذه المصطلحات الجديدة لا تبدأ في الظهور حتى تحققها المعاجم ؟ أم هي تثبت مباشرة من الباحثين والمدرسين والمؤلفين السباقين يصدرونها لى تنقل ما يتداولونه من المفاهيم ؟ وعلى المعاجم بعدئذ دورها في تحقيقها ورصد استعمالها حتى تصبح مرجعا للاختيين .

(ب) أسلوب التعبير : يتلخص اختبار سلامة الاسلوب العلمى في ظهور الهدف منه ووضوح دور كل من كلماته بحيث لو حذفت احداها لتقص المعنى أو اختل .

خذ مثلا العبارة : « يتحرك كياس المحرك الترددى بسرعة ذات مقدار عال ، ولذا فان أنجاز دورة الاشتعال في مثل هذا المحرك يتطلب الاسراع بكل من الاشتعال الذاتى لخليط الوقود والهواء وانتشار اللهب فيه ،

يأتى موازيا للاصل محتفظا به ومضيفا اليه من صيغ وتراكيب ومعان جديدة ما يوائم انتشار فروع العلم ويواكب تقدم الحضارة .

وسأورد فيما يلى بعض التعليقات على تعريب المصطلح واسلوب التعبير ثم على كتابة الرقم والرمز :

(أ) تعريب المصطلح : شغف العرب بجمع المترادفات المتعددة للمعنى الواحد من شتى لهجات القبائل ليستعينوا بها على المحسنات اللغوية ومقتضيات الشعر والقافية ، فأصبحت لديهم أسماء الاسد والحصان والجمال مثلا بالثلاث ، كما أنهم أقبلوا على التعريب من اللغات الاجنبية فأخذوا مثلا الاسطوانة من الفارسية والتصدير من اليونانية . واعمال المجامع اللغوية ومعاهد التعريب وتنسيقه تنهل من تلك الذخيرة وتحققها ثم تصنفها في معاجم متخصصة في شتى فروع العلم والتكنولوجيا كالرياضيات والفيزيكا والكيمياء والاحياء والنبات والجيولوجيا والفقهاء والقانون والسياحة والاشغال العمومية والطحانة والخبازة والفراشة ومصطلحات السيارة والمصطلحات الحضارية والخرائطية ، كما أن المعاجم التى صدرت في تفصيل العاميات العربية تثرىها عن طريق التعبيرات التى صقلها الاستعمال السدارج .

واختيار المصطلح المناسب لاستعمال معين من بين هذه المترادفات يحسمه المحاضر الذى يعرك المادة باللغة العربية وينسق داخلها بين مفاهيمها وتعبيراتها ، وهنا أود أن أؤكد عن تجربة أنى ما فهمت بعض ما درسته بالانجليزية الا عند ما حاولت أن أعبر عنه بالعربية في محاضراتى وانسق بينه وبين سائر المادة من مفاهيم . وحينما نضجت التجربة كان طبيعيا ان اسجلها في مرجع علمى عربى وأن أدرج في نهايته قائمة بها اخترته من الفاظ للمصطلحات ، وشرحتها شرحا موسوعيا يبرر ذلك الاختيار ، وأورد مثلا على ذلك في اللوحة رقم (2). وهذا الشرح الموسوعى ، وان كان بطيئا ومجهدا الا أنه يؤدي بسهولة الى الاختيار السليم للمصطلح المناسب .

خذ مثلا كلمة Rodage بالفرنسية : يستعملها العامة في مصر معربة تقريبا كما هي لتدل على التسيير الهادئ لمحرك السيارة الجديدة لتتوافق اجزاؤها في تحركها مع بعضها ، وقد اطلقنا نحن على هذا المعنى لفظي « التلين » أو « الترويض » ، ولكن للكلمة نفسها تطبيقات تكنولوجية أخرى وجدنا لها الفاظا عربية تعنى كلها تنعيم السطح وتوافقه : فاذا أجرى بوساطة جسم مرصع بالحجر فهو « تصقيل » ، واذا أجرى بوساطة حجر جامد فهو « تجليخ » واذا أجرى بوساطة مسحوق ناهش فهو « تحضين » .

ثم هناك كلمة « Blade » بالانجليزية وكلمة « Aube » بالفرنسية فهما في مجال المضخات والتوربينات يعنيان جزءا يوحى شكله ووظيفته بتفضيل تسميته بلفظ « جناح » على لفظي « ريشة » أو « نصل » لان